دور إسرائيل في دول حوض النيل

على الرغم من ما يمكن اعتباره بالجيرة بين مصر وإسرائيل ووجود حدود مشتركة بينهما وتوقيع اتفاقية سلام شامل تبعها تطبيع للعلاقات إلا أن رفض المواطن المصري للتحول من اعتبار إسرائيل عدوًا قديمًا إلى جار وصديق جديد جعل السلام بين مصر وإسرائيل سلاما باردا Cold Peace يكاد يقتصر على العلاقات الحكومية عند حدودها الدنيا بينما غابت الموافقة الشعبية على تقبل إسرائيل صديق وجار للمصريين. لذلك ينظر المصريون إلى تحركات إسرائيل داخل دول حوض النيل بريبة وحذر تصل إلى حد التخوين واعتبار هذه التحركات ضمن التحركات العدائية الموجهة ضد مصر وشعبها بغرض الإضرار بمصالحها وعلاقتها بهذه الدول. وقد ترسخ هذا الاعتقاد داخل وجدان المصريين بأن تحركات إسرائيل داخل دول الحوض تهدف إلى توريط مصر في حرب مياه مع هذه الدول يبعد مصر عن التفكير في إسرائيل وتحركاتها داخل المنطقة العربية ويستنزف قوة المصريين بما يزيد من التفوق الإسرائيلي في المنطقة العربية.

وعلى الجانب الآخر فإن الإسرائيليين يزعمون بأنهم بعيدون عن أي حرب بسبب المياه يمكن أن تحدث بين مصر ودول المنابع وأن ما يعتقده المصريون بأن المياه سوف تكون سببا للحرب القادمة Water as a cause of war in Nile basin يجب تأويله بعيدا عن إسرائيل وأن العلاقات الإسرائيلية مع دول الحوض لا تختلف عن علاقات باقي الدول الأخرى مثل الصين وكوريا وأمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا والنرويج، مستشهدين بتصريحات للدكتور محمود أبوزيد وزير الري

المصري السابق أثناء زيارته لإثيوبيا عام ٢٠٠٠ والتي أشار فيها بأن دعم إسرائيل للمشروعات المائية في إثيوبيا يتم بعيدا عن أنهار وروافد حوض النيل.

كما أن الأكاديميين في السودان يؤمنون تماما بأن الدور الأمريكي الإسرائيلي غاية في الخطورة في دول المنابع بل وفي جنوب السودان أيضا ويهدد موارد المياه في مصر والسودان وعلى مصر أن تنتبه إلى هذا الدور جيدا وتعمل على تحجيمه ويظهر ذلك في العديد من المؤتمرات الأكاديمية التي عقدت في السودان خلال السنوات العشر الماضية.

وعموما فإن الدور الإسرائيلي في القرن الأفريقي ودول المنابع يجب أن يؤخذ من المصريين مأخذ الجد كما كتب عبد العظيم حماد عام ٢٠٠٠ وأنه يجب على مصر أن تنتبه لهذا الدور وتتدخل بثقل اقتصادي واستثماري في هذه المنطقة لإيقاف التغلغل الإسرائيلي فيها.

وعموما ينظر الرأي العام المصري إلى التواجد الإسرائيلي في دول حوض النيل على الوجه التالي:

١. إذا تدخلت إسرائيل بدعم مالي أو فني في بناء السدود في إثيوبيا فهذا سلوك عدواني موجه ضد مصر والسودان.

٢. الدور الإسرائيلي في دول القرن الأفريقي ودول البحيرات الاستوائية مرفوض مصريا وعربيا ويجب الانتباه إليه جيدا.

٣. على مصر أن تبحث عن كيفية القيام بالدور الذي تقوم به إسرائيل في دول المنابع وما هي السبل التي تمكنها من أن تحل محل إسرائيل هناك.

٤. أن المصريون يرفضون تماما مبدأ بيع المياه لإسرائيل وإذا كان هناك ضغوطا عالمية في هذا الأمر فإن الفلسطينيين أولى بهذا الأمر.

٥. أن مصر تعاني فعليا من نقص كبير في المياه يصل إلى عدة مليارات الأمتار

المكعبة من المياه وبالتالي فإنها هي الأولى بأي تدفق مائي يأتي إليها عن باقي دول الجوار بما فيهم الفلسطينيين وأن لدينا مشروعات لاستصلاح الأراضي تصل إلى ٥ مليون فدان متوقفة نتيجة لنقص المياه اللازمة لهذه المساحات.

٦. أن الرئيس السابق حسني مبارك قد صرح في عام ١٩٩٩ بأن نقل مياه النيل إلى إسرائيل مستحيلا وأن اتفاقية دول الحوض تمنع نقل مياه النهر خارج الحوض حتى في داخل بلدان الحوض نفسها فما بالك بدول من خارجها، كما وأن جميع دول الحوض ترفض مبدأ نقل المياه إلى خارج الحوض.

٧. على مصر أن تزيد من دورها السياسي والاقتصادي في جميع دول المنابع بما فيهم إرتريا لتحجيم الدور الإسرائيلي وتعظيم الدور المصري.

وعموما يمكن إيجاز الدور الإسرائيلي في دول المنابع في:

- أن لإسرائيل استثمارات مباشرة سواء بمفردها أو بالشراكة مع دول أوروبية في إثيوبيا وحدها في زراعة حاصلات الوقود الحيوي تصل إلى نحو ٤٠٠ ألف فدان خلافا على ما يعتقد البعض وخلافا أيضا للتصريحات الإثيوبية بأن ما بين إسرائيل وإثيوبيا من خلاف أكبر كثيرا مما بينها من اتفاق.
- هناك شواهد كثيرة تشير إلى أن التواجد الإسرائيلي الكبير في دولة مثل إرتريا ودعم التسليح بالسلاح الإسرائيلي إضافة إلى الدعم الفني والتقني Know How تشير إلى احتمال وجود اتفاق بين إسرائيل وإرتريا لنقل المياه العذبة إلى إسرائيل مستقبلا مقابل هذا التواجد المكثف وإن كان بعض خبراء الإستراتيجية العسكرية يرون بأن هذا التواجد فقط لمنع أن يكون البحر الأحمر بحرا عربيا خالصا يمكن أن يسبب القلق لإسرائيل والتي تقع في نهايته كدولة وحيدة غير عربية.
- أن إسرائيل لديها كفاءات فنية وأكاديمية كبيرة في علوم وتقنيات تنمية موارد المياه وترشيد استخدامها وأنها تعرضها دائما على دول الحوض والكثيرون من

الإسرائيليون يعملون في هذا المجال وفي بناء السدود أيضا في العديد من دول الحوض.

- يرى العديد من المفسرين بأن للولايات المتحدة الأمريكية دورا مهما في دفع البنك الدولي لدعم مشروعات محاربة الجوع والفقر في إثيوبيا بغرض الضغط على إثيوبيا لتطوير علاقتها بإسرائيل وهو الحادث في الوقت الراهن فعليا.
- تعمل العديد من الشركات الأمريكية وبغطاء إسرائيلي في الدعم الفني في دول الحوض سواء في تطوير زراعات حاصلات الوقود الحيوي أو بناء السدود وتطوير طرق الري للاستفادة من الوفرة المائية الأرضية في دول الحوض على حساب ما يتدفق من المياه إلى مصر.
- الصحف الأوغندية والتنزانية ترد على قلق مصر من التواجد الإسرائيلي فيها بأنه إن كان هذا التواجد لا يروق لمصر فعليها أن تفعل ما يفعله الإسرائيليون لنا وتقدم ما يقومونه إلينا بدلا من الانتقاد غير الهادف والبعيد عن مصالح هذه الدول ومصالح مصر أيضا.
- ليس الدور الإسرائيلي وحده هو الذي يجب أن يسبب القلق لمصر. ولكن تواجد أكثر من ٢٥ دولة أجنبية بينهم دولا كبرى غربية وآسيوية يجب أن يسبب قلقا كبيرا لمصر وقد يصبح الأمر قريبا خارج نطاق السيطرة المصرية وخارج نطاق ضمان حقوق مصر من مياه النيل.